إيحاء الدلالة الصوتية ودورها في إبراز معاني النص القرآني

أ.ة/ قروج نعيمة

جامعة الدكتور مولاي طاهر ولاية سعيدة –الجزائر -

الملخص :

بلا شك أن الصوت يلعب دورا هاما للدلالة على معنى معين فإذا اجتمعت الحروف المناسبة في كلمة ما حتما ستحدث وقعا مؤثرا، ونماذجها في القرآن الكريم كثيرة إذ اختار لكل حالة ألفاظها فجاء اللفظ مناسبا للصورة الذهنية والدلالة السمعية على حد سواء، فالذي يطرب السمع وتستلذه النفس وتتأثر به العاطفة هو اللفظ الرقيق العذب، والذي تضطرب له وتتوجس منه خيفة هو اللفظ ذو الشدة والزجر وعلى هذا النحو أتت ألفاظ القرآن الكريم وحروفه مختارة بدقة متناهية فشكلت بدورها أصواتا في غاية التناغم حتى لا نكاد نرى أفصح ولا أجزل ولا أعذب منها على الاطلاق، وقد تميز النص القرآني بوضع الكلمات في الوضع الذي تستحقه حيث تستقر الكلمة في مكانها بصورة تزيدها جمالا ورونقا، في وقت كان فيه العرب تواقون إلى سماع الألفاظ التي تطرب الأذن وتستسيغ السمع من شعر ونثر. وتتمحور مداخلتنا حول النقاط التالية: ما هو الصوت في القرآن الكريم؟ وما هو دوره وما هي إيحاءاته ؟ ما مدى تأثيره على المعنى؟ وآثار ذلك على السامع مع أمثلة من القرآن الكريم.

الكلمات المفتاحية: الصوت، الدلالة، المعنى، الإيحاء، القرآن الكريم.

Résumé :

Le son qu'émets les lettres Arabe est d'une grande importance dans la compréhension et l'éclaircissement du sens dans la langue Arabe, ainsi les lettres réunis dans un mot peuvent emmètrent un effet sonore impressionnant surtout quand il s'agit du texte coranique où le mot est à la fois adéquat à l'image mentale et acoustique. Ainsi, le Coran utilise des mots de sonorité douce dans un contexte qui fait jouir l'âme et les émotions et enchante l'oreille. Cependant dans le contexte exprimant la peur, l'intimidation, ou l'enticement, le Coran utilise des mots plus puissants, frappants, et fort, c'est ainsi que le Coran a bien sélectionné ses lettres (ses phonèmes), ses mots d'une manière fabuleuse en formant des sons d'une parfaite harmonie ,faisant du texte coranique le texte le plus éloquent étant jamais existé. En conséquence et dans le but de découvrir cette qualité acoustique du Language Coranique, on a mené cette étude, en se focalisant sur les points suivants : quel est le son dans le Coran ? et quel est son rôle est ses connotations ? et quel effet a-t-il sur le sens ? avec des exemples du Sacré Coran.

Mots clés : son,signification,sens, connotation, Sacré Coran.

تمهيد:

إن ألفاظ القرآن جاءت في تركيب جمل روعي فيها الوقع الموسيقي الذي يحقق الدلالة الصوتية، فذلك الارتباط الموسيقي بالتعبير القرآني جعل من الدلالة الصوتية ذات تأثير خاص ومباشر على النفس من خلال ما تتركه من مدلولات تطغى على المعنى فتعطي إيحاءات مميزة إما بالترغيب أو الترهيب، أو غيرها من الإيحاءات وهذا ما ذهب إليه الدكتور حسن ضياء الدين عتر بقوله أن للقرآن الكريم تأثير بليغ أخاذ على النفس الانسانية وهذا يدل على أنه كلام الله لأن النفس البشرية لا تتأثر هذا التأثر عندما تسمع أو تقرأ أي كلام من كلام البشر. صحيح أن الكلام البليغ يؤثر في النفوس الواعية، سواء كان هذا الكلام شعرا أم نثرا

وكلما زادت بلاغة الكلام وفصاحته ازداد تأثيره في النفوس، لكن أثر القرآن في النفوس يزيد عن تأثير أي كلام بشري فصيح فيها."[1]

تعريف الصوت لغة: هو الجرس، وهو صوت الإنسان وغيره والصائت: الصائح[2]. والصوت هو جنس لكل ما وقر في أذن السامع، ويقال رجل صيّت: إذا كان شديد الصوت، وصائح إذا صاح[3].

أما اصطلاحا: فهو الأثر السمعي الذي يصدر طواعية عن تلك الأعضاء التي يطلق عليها اسم(جهاز النطق) وهو تمثيل للعناصر التلاثة، فأعضاء النطق تمثل العنصر الأول، والأثر السمعي المتعلق بالصوت من حيث انتقال موجاته في الهواء يمثل العنصر الثاني، اما أذن المستمع التي تتلقى تلك الذبذبات فإنها تشكل العنصر الثالث[4]. ويعرفه تمام حسن على أنه عملية حركية يقوم بها الجهاز النطقي وتصحبها آثار سمعية معينة تأتي من تحريك الهواء فيما بين مصدر إرسال الصوت وهو الجهاز النطقي ومركز استقباله وهو الأذن[5].

ومن هنا يتضح لنا أن للصوت اللغوي أهمية بالغة في تحديد معنى الدلالة خاصة في النص القرآني، فهو العنصر الأساس في

---

[1]- صلاح عبد الفتاح الخالدي: إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني،دار عمار، ط3، عمان ، الأردن،2008،ص491

[2] ابن منظور: لسان العرب، مطبعة دار الحديث،ج2،القاهرة ،مصر،2000،ص57.

[3]- بن فارس: معجم مقاييس اللغة،ط1،ج3،دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 2001،ص319.318

[4]- خليل ابراهيم عطية: في البحث الصوتي عند العرب، منشورات دار الجاحظ للنشر،بغداد، العراق، 1983،ص06

[5]- تمام حسن عمر: اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، ط5، القاهرة، مصر،2006،ص66

الإعجاز، ولما كان القرآن الكريم أرقى نص على الإطلاق فقد وظف كل ما يمتلكه الصوت من قدرات لبلوغ أقصى درجة من التأثير في المتلقي فأصبح الصوت صورة متميزة للبلاغة القرآنية والتناسق الفني فأضحى مظهرا من مظاهر الإعجاز وكان تنوعه بتنوع المواقف والسياق وتنوع الأغراض الدلالية المناسبة لكل موقف ومشهد.

تعريف الدلالة الصوتية: وهي التي توحي بأثر موسيقي خاص يستنبط من ضم الحروف بعضها لبعض ويستقرأ من خلال تشابك النص الأدبي في عباراته فيعطي مدلولا متميزا في مجالات عدة: الألم، البهجة، اليأس، الرجاء، الرغبة، الرهبة، الوعد، الوعيد، الإنذار، التوقع، الترصد التلبث..إلخ[1]

فهي إذن مجموع تأليف كلمات الجملة وطريقة آدائها الصوتي ومظاهر هذا الأداء وهذا ما يعرف بالعناصر الثانوية التي تصاحب الكلمة المفردة[2].

كما أنها تعتمد على تغيير الفونيمات أي باستخدام المقابلات الاستبدالية بين الألفاظ حيث يحدث تعديل أو تغيير في معاني الألفاظ لأن كل فونيم مقابل استبدالي لآخر، فتغيره أو استبداله بغيره لابد أن يعقبه اختلاف في المعنى، كما نقول في العربية نفر ونفذ فبمجرد استبدال

---

[1]- محمد حسين علي الصغير: الصوت اللغوي في القرآن،ط1،دار المؤرخ العربي،بيروت،لبنان،2000،ص165

[2]- محمود عكاشة: التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة،دراسة في الدلالة الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية، دار النشر للجامعات، ط1، القاهرة، مصر،2005 ،ص17،18

الراء بالذال يتغير معنى الكلمة بصورة آلية[1] وعليه كل حرف أو حركة في اللغة العربية يمكن أن يكون مقابلا استبداليا فالحروف في تبدلها ذات وظيفة فونيمية كذلك الحركات لها دلالة صوتية، أي ذات وظيفة فونيمية أقرب إلى وظيفة الحروف في تغيير معاني الكلمات[2].

وقد كان بن جني من الأوائل الذين تحدثوا عن الدلالة الصوتية من خلال كتابه الخصائص حيث أفرد لها عدة أبواب من بينها إمساس الألفاظ أشباه المعاني، فذكر أن مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث فباب عظيم واسع وذلك أنهم كثيرا ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبر عنها فالخضم لأكل الرطب والقضم للصلب اليابس، وأطلق عليها اسم الدلالة اللفظية حيث يراها من أقوى الدلالات حيث يقول: أعلم أن كل واحد من هذه الدلالات معتد مراعى مؤثر إلا أنها في القوة والضعف على ثلاث مراتب، فأقواهن الدلالة اللفظية ثم تليها الصناعية ثم تليها المعنوية[3].

ويظهر من هنا أن للصوت علاقة مباشرة بالمعنى عند العربي فقد اعتمد على شعوره للاهتداء إلى أصوات حروفه واستخلاص معانيها وهذا ما ذكره بن جني في باب تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني فبعد أن يختار العربي الحروف التي تتلاءم أصواتها مع الحدث الذي يريد التعبير عنه يقوم بترتيبها في اللفظة فيقدم الحرف الذي يماثل أول الحدث ويضع وسطه ما يماثله ويؤخر ما يماثل نهايته كقولهم : (شدّ الحبل) فالشين بما

9- عبد الكريم مجاهد: الدلالة اللغوية عند العرب،دار ضياء، عمان، الأردن، 1985،ص166.

[2] م،ن،ص166.

[3] بن جني: الخصائص،دار الحديث،ج2، القاهرة،مصر،2007،ص157.

فيه من التفشي تشبه بالصوت أول انجذاب الحبل ثم يليه إحكام الشّد والجذب فيعبر عنه بالدال التي هي أقوى من الشين لاسيما وهي مدغمة فهو أقوى لصنعتها وأّدل على المعنى الذي أريد بها[1]

ومن الأمثلة التي توضح ما سبق ذكره عن استيحاء الدلالة الصوتية في القرآن الكريم نأخذ عينة فقط كنموذج للدراسة وذلك لتعذر حصرها واستحضار جميع صيغها.

يقول الله تعالى في محكم تنزيله الآية 105 و106 من سورة طه ﴿ويسئلونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا﴾أي يجعل الجبال بمنزلة الرمل ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها، والقاع والصفصف بمعنى واحد وهو المستوي من الأرض لا نبات فيه وليس للجبل فيه أثر[2] إن الآيتين الكريمتين تصوران لنا مشهد مفزع من مشاهد يوم القيامة وكيف أن الجبال مع عظمها تصبح كالرمل تذرها الرياح وتصبح الأرض قاحلة منكشفة لا حياة فيها كما تعطينا الآيتين الكريمتين إيحاءا صوتيا رائعا تجسد في تكرار لفظ ينسف نسفا وذلك باستعمال المفعول المطلق لزيادة التأكيد والذي يوحي بذلك الصوت المدوي الذي يصعق الآذان ويجعل الأرض تهتز لدرجة تصبح فيها الجبال كذرات الرمال ثم تلتها الآية الكريمة الموالية بلفظتا قاعا صفصفا لتكمل المشهد المروع بتوظيف الخطاب القرآني للفظة قاع وذلك لما يوحيه حرف القاف من "أحاسيس لمسية من القساوة والصلابة والشدة وإلى أحاسيس بصرية

---

[1] م.ن،ص163.

13- الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن،ج7،دار العلوم، بيروت، لبنان، 2005،ص41.

وسمعية من فقاعة تنفجر أو فخارة تتكسر"[1] فجاءت ألفاظ هاتين اللآيتين الكريمتين بما يلاءم المشهد، فكأننا في أرض موحشة مقفرة جراء انفجار مهول أتى على الأخضر واليابس فأضحت هذه الأرض خربة تشعرنا بالفزع والخوف، ثم يختم المشهد بلفظة صفصفا والتي أصلها صف أي استوى وأتت مكونة من مقطعين متكررين هما صف صفا وذلك لما يوحيه صوت الصاد وهو "صوت صفيري"[2] من أجواء الخوف وهول المنظر في أرض خالية لا حس فيها ولا نبض سوى صفير الرياح، ولو استبدلنا كلمتا قاع وصفصفا بكلمة أرض لضاعت كل هذه المعاني.

أما قول الله عزّ وجلّ في الآية 90 من سورة النمل ﴿ومن جاء بالسّيئة فكّبت وجوههم في النّار هل تجزون إلاّ ما كنتم تعملون﴾ فقد جاءت الآية الكريمة تتحدث عن مصير أصحاب النار، وقد عبّر عنهم القرآن الكريم بلفظة "كّبت" ومعناها ألقوا في النار منكوسين[3] أما معنى كبّ: قلب، وكّبه لوجهه بمعنى صرعه[4] غير أن الدلالة الصوتية لحرفي الكاف والتي تدل على التمكن في الشيء في أغلب أحواله[5] والباء المشّددة بحكم أنه صوت

---

[1]- حسن عباس: خصائص الحروف العربية ومعانيها، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا،1998،ص144.

[2] م.ن،ص149.

[3] الطبرسي: ج7،ص297.

17- ابن منظور: لسان العرب، مطبعة دار الحديث،ج1،القاهرة ،مصر،2000 ،ص695.

[5]- صالح سليم عبد القادر الفاخري: الدلالة الصوتية في اللغة العربية، المكتب العربي الحديث، ص151.(الطبعة بدون تاريخ)

إنفجاري شديد مجهور أوحى ما يكون بمعاني البعج والحفر[1] قد أعطتا للفظة إيحاءات بأكثر من معنى فامتزاج الكاف والباء في لفظة "كّبت" تصور لنا هؤلاء المجرمون وهم في قبضة الله عز وجلّ وتمكّنه وكبريائه يوم لا ملك سواه وقد نكّسوا وألقوا وهم بلا حول ولا قوة وقد هوت أجسامهم في قاع أو في حفرة دون أن يجدوا شيئا يتمسكون به أو يستندون عليه ووجوههم صوب القاع وقد اختار الخطاب القرآني الوجه والوجه هو أكرم عضو في الجسم ومنه المثل القائل "حفظ ماء الوجه" حيث يتعلق بالإنسان وحالته، فكلما كان هذا الأخير في سعة وخلا من غلبة الدين والهّم كان مرتاحا. غير أن العذاب لهؤلاء جاء بالقائهم على وجوههم في النّار وهو منظر من مناظر الخزي والذل، والخضوع والخنوع حيث يكون أول ما تلقفه النار جزاءا بما كانوا يعملون، وقد عملت لفظة كّبت على تقوية المعنى وإضفاء جمالية صوتية مميزة لا تستطيع لفظة أخرى أن تؤديها، ولو كانت من مرادفاتها كما استطاعت اللفظة لوحدها وهي مكونة من حرفين فقط وهما الكاف والباء وإيحاءاتهما الصوتية أن تحيطنا علما بخاتمة السوء وعاقبة هؤلاء الكفار وجزائهم ومثواهم وهذا كله من دلائل الإعجاز اللفظي الذي انفرد به القرآن الكريم دون سواه.

ونجد في قول الله تعالى من الآية 22 إلى الآية 25 من سورة القيامة إيحاءات صوتية باهرة جاءت مناسبة لكل موقف، فقول الله تعالى﴿وجوه يومئذ ناضرة(22) إلى ربها ناظرة(23) ووجوه يومئذ باسرة(24) تظن أن يفعل بها فاقرة(25)﴾ ومعنى ناضرة أنها وجوه حسنة جميلة من النعيم

[1]- حسن عباس: خصائص الحروف العربية ومعانيها، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 1998،ص101.

تنظر إلى ربها وباسرة أي متغيرة الألوان مسودة تعلم أن يفعل بها داهية[1] أما الدلالة الصوتية فقد صنعتها لفظتا ناضرة وناظرة وباسرة وفاقرة وهو جناس ناقص أحدث جرسا موسيقيا جميلا أثار الانتباه وأطرب الأذن فارتباط النون والضاد والراء مجتمعة في لفظة واحدة وتكرار نفس الحروف باستثناء حرف الظاء في الوسط "تدل على الظهور"[2] أما حرف الظاء فيوحي بالفخامة والأناقة والنضارة[3] وهكذا تتضح لنا صورة تلك الوجوه في ذلك اليوم فهي وجوه مشرقة تشع نورا ظاهرا للعيان بارزة فرحتها ناعمة مستبشرة، كيف لا والفرحة فرحتان فزيادة على نضارة الوجه وجماله وإشراقه هناك نظرة إلى وجه الله تعالى ونوره، وكأن الوجه دائما يعكس حالة صاحبه فإما سعيد أو شقي ووجود اللفظتان معا بنفس الحروف واختلاف المعنى أعطت إيحاءا صوتيا مبهرا يعكس الحالة الجسمية والنفسية لهؤلاء السعداء فهم في غمرة من الفرحة والراحة التي لا توصف، وبالمقابل وجوه مسودة كالحة عبّر عنها القرآن الكريم بالباسرة أي المقطّبة التي تنظر بكراهة شديدة وهي أيضا من بسر أي طلب الحاجة في غير موضعها أو أوانها[4] وقد وظفها القرآن الكريم في موضعها فجاءت مناسبة للموقف يومئذ فكأننا نشاهد هؤلاء وهؤلاء بأم أعيننا من خلال هذه الألفاظ مجتمعة فلا منقذ ولا شفيع لهؤلاء التعساء وقد استيقنوا مصيرهم وهو الداهية والنار، ولزيادة الدلالة الإيحائية للصوت استعمل الخطاب القرآني تلك الفواصل الرنانة التي انتهت بحرف الراء فأعطتها نغما موسيقيا فكان الإيقاع.

---

[1] الطبري: ج23،ص505.

[2] صالح سليم عبد القادر الفاخري: الدلالة الصوتية، 156.

[3] حسن عباس: خصائص الحروف العربية ومعانيها،ص126.

[4] ابن منظور،لسان العرب،ج4،ص58.

وجاء إيحاء الصوت في قول الله تعالى في الآية الكريمة 141 من سورة آل عمران ﴿وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين﴾إذ أن لفظتا يمحص ويمحق جاءتا مناسبتين لمعنى الآية كلا في موضعها المناسب، فأصل التمحيص التخليص، والمحص الخلوص من العيب ويقال اللهم محص عنا ذنوبنا أي أذهبها عنا، وليمحص الله: أي ليبتلي الله الذين آمنوا، أما المحق فهو فناء الشيء حالا بعد حال[1]. زيادة على ما تعنيه الآية الكريمة فإن هذين لفظتين جاءتا بدلالات صوتية موحية فاندماج الميم الذي هو حرف مجهور متوسط الشدة مع حرفي الحاء الذي يوحي بأصوات فيها شيء من الحدة، والصاد وهو حرف مهموس صفيري[2] قد شكلت مجتمعة إيحاءاً صوتياً رائعاً إذ يوحي لنا بتلك الحدّة والدّقة في الفرز والتمييز والتخليص من كل الشوائب للمؤمنين فقد تكفل الله عزّ وجلّ باختبارهم أشد اختبار قصد تخليصهم من الذنوب والخطايا وذلك بابتلائهم أشد ابتلاء ليتبين منهم شدة الإيمان ومدى الصبر فجاء الخطاب القرآني بلفظة "يمحص" في هذا الموقف بذات دون غيرها من الألفاظ رغم وجود الكثير من مرادفاتها لأنها اللفظة المناسبة معناً، إيحاءاً، جرساً وصوتاً فالله ينقص من ذنوب المؤمنين ويطهرهم ويحط من خطاياهم عن طريق الإبتلاء فيرتقوا عن طريقه درجات ويكون الجزاء عظيما، كما جاءت لفظة "يمحق" بنفس الحروف ماعدا حرف القاف "الذي يوحي بالاصطدام والانفصال والقطع"[3] وتوافق معنى اللفظة بإيحاء أصوات حروفها فأعطى هذا الاتساق الصوتي دلالة على الذهاب والزوال

---

[1] الطبرسي: ج2،ص321.

[2] حسن عبلس: خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص 149،و182.

[3] عبد القادر الفاخري: الدلالة الصوتية في اللغة العربية،ص151.

" وإنما قابل الله بين التمحيص والمحق، لأن محص هؤلاء باهلاك ذنوبهم نظير محق أولئك باهلاك أنفسهم وهذه مقابلة ي المعنى"[1].

وتعد سورة الرحمن عروس القرآن أحد أجمل أمثلة الإعجاز الصوتي والموسيقي في القرآن الكريم حيث عدّدت نعم الله سبحانه وتعالى، ومخلوقاته وحقائق الكون، ووصفت الجّنة ويوم القيامة فأبرزت قمة ما تحمله اللفظة من إيحاء الصوت والإيقاع والجرس موسيقيين فضلا عن معناها ومحتواها فكانت مفعمة بالدلالات الإيحائية والصوتية التي تناسقت وأجواء السورة افتتحت باسم من أسماء الله وهو الرحمن "فاتحة ثلاث سور "آلر"، "حم"، "ن" فيكون مجموع هذه الرحمن"[2] وهو الذي وسعت رحمته كل شيء ولذلك لا يوصف به إلا الله تعالى[3] ﴿الرحمن علّم القرآن(1) خلق الانسان علّمه البيان(2) الشمس والقمر بحسبان(3) والّنجم والشّجر يسجدان(4) والسماء رفعها ووضع الميزان(5) ألاّ تطغوا في الميزان(6) وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان(7)﴾ إلى آخر السورة المباركة حيث وصفت لنا نعم الله الكثيرة وأّولها نعمة القرآن ثم تلاها خلق الانسان وأن الله علمه البيان وخلق الشمس والقمر والنجم والشجر والأرض وكل ما عليها من فاكهة ونخل وريحان فصورت لنا السورة بديع خلق الله، وكونه وفسيح جنانه فجاءت الألفاظ مواتية لذلك المشهد في معناها وجرسها حيث طغى حرف النون والميم"فهما صوتان أنفيان بحسب كيفية مرور الهواء وهما أيضا صوتان شديدان(وقفتان)... وفي هذه الخاصية الثنائية (مطلق وقوف الهواء، وخروجه حراً طليقاً) من منفذ ما تشترك معهما

---

[1] الطبرسي: م،ن،ص322.

[2]- عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج20،ط1،مؤسسة الرسالة،بيروت،لبنان،2006،ص112

[3] الطبرسي: ج9،ص252.

اللام[1] فعند خروج حرفي الميم والنون عند النطق يقف الهواء ثم يخرج حراً طليقاً ويوحي لنا بذلك الامتداد المستمر والواسع الفسيح الذي لا حدود له لنعم الله والتي لا تعد ولا تحصى وذلك العدد اللامتناهي لخلقه، فعّوت لنا عن تلك الصورة الحسية لهذا الكون البديع الذي يغذي الخيال فيرسم لنا مشهدا يصور السماء وهي مشرقة بضوء الشمس وامتداده على مرمى البصر تارة، ومزينة بالنجوم وضوء القمر تارة أخرى وكل شيء بحسبان، ثم يأتي مشهد الأرض وكيف بسطت وهيأت للعيش الرغد وعليها كل أنواع الأشجار والفاكهة والحب دون نفاذ، فكانت اللفظة القرآنية نابضة بالحياة.

ثم جاء تكرار الآية الكريمة ﴿ فبأيّ ألاء ربّكما تكذّبان﴾ وجعلها الله فاصلة بين كل نعمتين لينبأ بها معشر الجّن والإنس ويقّررهم بها"[2] فزاد تكرار الآية من الإيقاع الصوتي للسورة وجعلتها أكثر وقعا على النفس والأذن معاً، فبعد كل هذا الخلق المترامي الأطراف كيف لنا نحن معشر الجن والإنس أن ننكر ونجحد ونكذب فجاء هذا التكرار معززا للألوهية متحديا للثقلين إذ يرى الخطابي: "أن التكرار ينقسم إلى ضربين أحدهما مذموم وهو ما كان مستغنى عنه ولم يأت بزيادة معنى وليس في القرآن شيء من هذا النوع والثاني ممدوح يحتاج إليه ويحسن استعماله في الأمور المهمة التي قد تعظم العناية بها ويخاف بتركه وقوع الغلط والنسيان فيها والاستهانة بقدرها"[3] ثم انتقلت إلى وصف الإعجاز الكوني والمغرب والمشرق والبحار والسموات والأرض وكأننا ننتقل من مشهد

30- كمال بشر: علم الأصوات،دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، مصر،2000 ،ص349.

[2] القرطبي: الجامع لأحكام القرآن،ج20،ص124.

[3]- الخطابي: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني،ط5،دار المعارف،القاهرة،مصر،2008،ص52

لمشهد أكثر إعجازا في كل مرة كانت اللفظة القرآنية فيه هي المفصل، ثم يأتيا مشهدا الجنّة والنار ليأتي اليوم الموعود فيكون مشهد النار ويوم القيامة وأهواله هو الأول في السورة فيتغير بذلك جو السورة وإيقاعه باختلاف الألفاظ الموحية بالهول والفزع من ذلك اليوم واختيار لفظة شواظ النار لما يوحيه "حرف الشين من بعثرة النفس أثناء خروج الصوت وهو يماثل الأحداث التي تتم فيها البعثرة والانتشار وطريقة النطق بصوته المبدّد للنفس بين شفاه مكشرة[1] فهم يقذفون بلهب حامي الوطيس ويجرون من النواصي والأقدام ويطوفون بين ماء قد على وسخن حتى انتهى حره[2] ثم ينتقل بنا الخطاب القرآني إلى مشهد آخر أين تهدأ النفس من روعها وتطمئن بهدوء تلك الألفاظ المعبّرة فندخل من خلالها عالماً سحرياً يصف لنا جنة غناء من عيون وفاكهة وفرش وحور العين فتأتي ألفاظ ﴿متكئين على فرش﴾﴿فيهما عينان نضاختان﴾﴿وفاكهة ونخل ورمان﴾و﴿متكئين على رفرف وعبقري حسان﴾ليخيل لنا ذلك النعيم والراحة الأبدية وتلك العيون المتدفقة بغزارة وتلك الأشجار الخضراء والرائحة الزكية التي لم تر مثلها عين ولم تسمع أذن، هو جزاء الرحمن فتبارك اسمه ذو الجلال والإكرام.

وقد استعمل القرآن الكريم سورا بأكملها ذات إيحاءات صوتية غلبت على جو السورة ومثل ذلك ما جاء في سورة الناس وقول الله تعالى ﴿قل أعوذ برّب النّاس(1) ملك النّاس(2) إله النّاس(3) من شّر الوسواس الخنّاس(4) الذي يوسوس في صدور النّاس(5) من الجنّة والنّاس(6)﴾ومعناها تعوذ يا محمد بخالق النّاس ومدبرهم ومنشئهم من شّر

[1] حسن عباس،خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص115.

[2] الطبري، ج22، ص132.

الوسوسة الواقعة من الشيطان الذي يوسوس بالكلام الخفي إلى الناس فيصل مفهومه إلى قلوبهم من شّر وسواس معشر الجن والإنس[1] وتعطينا السورة الكريمة وهي خاتمة القرآن الكريم جرساً موسيقياً مثيراً للانتباه أحدثه حرف السين من أواخر الكلمات أي الفاصلة " وهي كلمة آخر الآية كقافية الشعر وقرينة السجع[2] إذ صورت لنا السورة بأكملها ذلك الصوت الموحي بالهمس وتلك الخلسة والوسوسة المستترة للشيطان ودعوتهم إلى طاعته وذلك عن طريق الولوج الخفي والسهل إلى نفوس الناس وصدورهم والتأثير فيهم. هذا الإيحاء حققه صوت السين المتكرر إلى نهاية السورة لأنه "صوت صفيري مهموس"[3] فألقى بوقعه على السمع، واهتزت له الأذن، واستشعره الحس، فانسجم معنى السورة الكريمة بصوتها فأعطاها إعجازا موسيقيا مبهراً يقول فيه الرافعي: "ما هذه الفواصل التي تنتهي بها آيات القرآن إلا صور تامة للأبعاد التي تنتهي بها جمل الموسيقى، وهي متفقة مع آياتها في قرار الصوت اتفاقاً عجيباً يلائم نوع الصوت، والوجه الذي يساق عليه... وعلى أن ذلك لا يكون أكثر ما أنت واجده إلا في الجمل القصار، ولا يكون إلا بحرف قوي يستتبع القلقلة أو الصّفير أو نحوهما مما هو ضروب أخرى من النظم الموسيقي"[4].

---

[1] الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن،ج10،ص382،381.

[2]- بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي: البرهان في علوم القرآن،ج1،دار الحديث، ،القاهرة، مصر ،2006،ص50

[3]- محمد حسين علي الصغير: الصوت اللغوي في القرآن،دار المؤرخ العربي، ط1، بيروت، لبنان،2000 ،ص88

[4]- محمد صادق الرافعي: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان،2003،ص178

وقد سميت سورة الفلق وسورة الناس بالمعوذتين وجاء في فضلهما أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "أنزلت علّي آيات لم ينزل مثلهن قط المعوذتان" رواه مسلم.

خاتمة:

من الملاحظ أن إيحاء الصوت قد أعطى ذوقا خاصا ومتعتة وحلاوة لم تعهدها العرب من قبل تفرد بها القرآن الكريم ولم يحظ بها كتاب قط، فكانت ميزة من ميزاته، وأحد اعجازاته المبهرة، وتحد من تحدياته وحجة لكل زمان ومكان، فقد تولّت اللفظة القرآنية زمام الأمور بقدرتها العجيبة على التعبير والتصوير والإيحاء فتمكنت من الإدلاء بمعناها الظاهري فضلا عن إيحائها الصوتي والتصويري حيث استطاعت أن تكشف لنا عن عدة مشاهد تجاوزت فيهم اللفظة المعنى إلى الإيحاء وانتقلت بنا من خلاله إلى مسرح الأحداث وكأننا نراها بأم أعيننا.

وقد أعطى الجانب الموسيقي جمالية للنص القرآني وكان حضوره المكثف في القرآن الكريم ملفت للانتباه فقد تنوع الجانب الموسيقي للفظة من التناسق الصوتي للحروف وتجانسها إلى إيقاع الفواصل والتكرار وغيرها بطريقة رائعة، كما أبرز القرآن الكريم أهمية الدلالة الصوتية وما توحيه من أصداء في فهم الخطاب القرآني واستيعابه فجاء إيحاء الصوت في موضع اللين بما يوافق الأحداث وفي موضع الشدة بما يستدعيه الموقف.

ومن خلال كل ما سبق ذكره نجد أن الصوت اللغوي قد أدى وظيفة بالغة الأهمية في القرآن الكريم وأضفى على اللفظة القرآنية نبض من الحياة بلغت به قمة الإعجاز، كما أنه ساهم بشكل رائع في إعطاء التصور الكامل للمعنى في القرآن الكريم.

-قائمة المصادر والمراجع:

1- صلاح عبد الفتاح الخالدي: إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، دار عمار، ط3، عمان، الأردن، 2008

2- ابن منظور: لسان العرب، مطبعة دار الحديث، ج2، القاهرة، مصر، 2000.

3- بن فارس: معجم مقاييس اللغة، ط1، ج3، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 2001.

4- خليل ابراهيم عطية: في البحث الصوتي عند العرب، منشورات دار الجاحظ للنشر، بغداد، العراق 1983.

5- تمام حسن عمر: اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، ط5، القاهرة، مصر، 2006، .

6- محمد حسين علي الصغير: الصوت اللغوي في القرآن، ط1، دار المؤرخ العربي، بيروت، لبنان 2000.

7- محمود عكاشة: التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، دراسة في الدلالة الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية، دار النشر للجامعات، ط1، القاهرة، مصر، 2005.

8- عبد الكريم مجاهد: الدلالة اللغوية عند العرب، دار ضياء، عمان، الأردن، 1985، ص166.

9- م، ن.

10- بن جني: الخصائص، دار الحديث، ج2، القاهرة، مصر، 2007.

11- م.ن.

12- الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن، ج7، دار العلوم، بيروت، لبنان، 2005.

13-حسن عباس: خصائص الحروف العربية ومعانيها، منشورات إتحاد الكتاب، العرب، دمشق، سوريا 1998.

14-م.ن.

15- الطبرسي: ج7، ص297.

16- ابن منظور: لسان العرب، مطبعة دار الحديث، ج1، القاهرة، مصر، 2000.

17- صالح سليم عبد القادر الفاخري: الدلالة الصوتية في اللغة العربية، المكتب العربي الحديث، (الطبعة بدون تاريخ)
18-حسن عباس: خصائص الحروف العربية ومعانيها، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 1998.
19- الطبري: ج23، ص505.
20- صالح سليم عبد القادر الفاخري: الدلالة الصوتية، 156.
21- حسن عباس: خصائص الحروف العربية ومعانيها.
22-ابن منظور، لسان العرب، ج4.
23- الطبرسي: ج2.
24-حسن عباس: خصائص الحروف العربية ومعانيها.
25- عبد القادر الفاخري: الدلالة الصوتية في اللغة العربية.
26- الطبرسي: م، ن.
27- عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج20، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 2006.
28- الطبرسي: ج.9
29- كمال بشر: علم الأصوات، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، 2000.
30- القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج20.
31- الخطابي: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، ط5، دار المعارف، القاهرة، مصر، 2008.
32- حسن عباس، خصائص الحروف العربية ومعانيها.
33- الطبري، ج22.
34- الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن، ج10.
35- بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج1، دار الحديث، القاهرة، مصر، 2006.
36- محمد حسين علي الصغير: الصوت اللغوي في القرآن، دار المؤرخ العربي، ط1، بيروت، لبنان، 2000.
37- محمد صادق الرافعي: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، 2003.